

من نماذج الفكر الاستشراقى

نظرة انتقادية على كتاب ,,الاسلام,, بقلم المستشرق
دومينيك سورديل

ترجمة : خليل الجسر
نشر : المنشورات العربية ، بيروت

د . عبدالحليم عويس

عندما أنهيت قراءتى الفاحصة العميقة لهذا الكتاب ,,الاسلام,,
تأليف المستشرق دومينيك سورديل كانت المشاعر تمتزج لدى
وتضطرب اضطرابا كبيرا كان مثلى مثل استاذ جامعى يمشى فى
عاصمة من عواصم أوروبا ، فانهالت عليه - دون سابق معرفة - احدى
السيدات بسيل من الكلمات الجارحة المتلاحقة دون أن تترك له
أية فرصة للدفاع عن النفس ، أو لتوضيح الحقيقة . . . والحقيقة أنه لم
يكن الشخص الذى تعنيه . وأنه - اذا كان هو المعنى - فان كل ماتقوله
لا يليق به ، وهو منه براء . وأنها لاتملك أى دليل واحد على أكاذيبها
الملفقة . . . أجل . . . أنه وسط الضجيج والغوغائية ، لا يمكن اعمال
العقل ، أو التوضيح القانونى للحقائق . . . هو المنهج الذى يلجأ اليه
بعض المستشرقين وتلامذتهم عند الحديث عن الاسلام .

انه منهج الهجوم المصحوب بالضجيج ,,العلمى,, و,,التلفيقات,,
التي تعتمد على ,,التلاحق,, والتتابع . . . لدرجة تجعلك تياس من

„الدفاع“ . . . وهذا هو الهدف الأساسي من „الغارة الاستشراقية“ على العالم الاسلامى .

وهذا أيضا هو المنهج „الذى اعتمده دومينيك سورديل فى كتابه عن „الاسلام“ ولنا أن نستنتج أن هذا الكتاب الذى بين أيدينا ليس الا واحدا من الكتب التى تسعى بوضوح للهدف الاستشراقى الذى ألمحنا اليه

وماذا تقول فى كتاب تبلغ صفحاته أقل من (مائة وخمس عشرة صفحة) من القطع المتوسط ، وتكاد الأخطاء العلمية و التاريخية الموجودة فيه تصل الى أكثر من مائة وخمسين خطيئة ؟ فلا تكاد تتفقت أية صفحة من خطأ أو خطأين ، وهى أخطاء تصل الى حد اغفال البديهيّات التى يدركها عامة المسلمين وسذجهم ، فضلا عن علمائهم وعقلائهم . . . انه „الخطأ العمد مع سبق الاصرار“ وانه „المنهج“ الخارج عن اطار „المنهج العلمى“ . انه المنهج المنحاز الموجه . . . وكفى . . .



ويقع الكتاب ، فى سبعة فصول يعرض أولها لشخصية النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وللقرآن وضمنا يتحدث عن بعض أوضاع الجاهلية التى نشأ فيها الاسلام . ويعرض الفصل الثانى للعالم الاسلامى - تاريخيا - عرضا مقتضبا مخلّا يبدأ من الخلفاء الراشدين ، وينتهى بسقوط العثمانيين ، وذلك كله فى صفحات لاتزيد عن خمس عشرة صفحة . . .

أما الفصل الثالث فقد التزم بنوع من المنهجية الشكلية ، وتحدث عن ,,العقيدة الاسلامية ,, وما يتصل بها ، و ,,الشريعة الاسلامية ,, والحياة الاجتماعية فى الاسلام .

وأفرد (الفصل الرابع) للحديث عن الفرق الكلامية الكبرى كالخوارج والشيعة ، - بينما أفرد الفصل الخامس للحديث عن الفلسفة والتصوف . وتناول الفصل السادس النشاط الفكرى والفنى فى الدولة الاسلامية مركزا على العلوم والفنون والآداب .

أما الفصل السابع - والأخير - فقد أفرده المؤلف لما أسماه ,,الاسلام العصرى,, وهى تسمية مرفوضة مبدئيا . . . وفى هذا الفصل تحدث المؤلف عن تاريخ العالم الاسلامى فى العصر الحديث ، والوضع الراهن للعالم الاسلامى ، ووضع الاسلام المعاصر - حسب تعبيره

وذلك هو الهيكل العام للكتاب الذى نتبعه بالعرض والتعليق فى هذه الصفحات

الاسلام - فى فهم المؤلف - هو دين التوحيد الذى بشر به سيدنا محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) فى الجزيرة العربية ومع احساسنا بضغط التعريف وبعد الاعتراف الضمنى بنبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) - فنحن - مع ذلك - نعبر هذه النقطة الاصطلاحية وما تلاها من نقاط لاتضيف جديدا حول وضع الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وانتسامها الى جنوب زاهر والى شمال قبلى عاش فى مرحلة ما قبل التحضر ، وعلى الرغم من الفوارق بين أهل الشمال والجنوب نجد أن عبادتهم تتسم بعناصر مشتركة ، فكانت ثمة آلهة محلية أكثر ذات صفة كوكبية حالة فى حجارة مقدسة تعرف بالنصب

وهنا عند هذه النقطة - نفاجاً بأول خطيئة يرتكبها المؤلف . . . ان عبارته تقول : . . . ،، وكان يقوم فوق هذه الآلهة جميعا الله الذى اعترف به فى القرن السابع (. . .) رب الهيكل ، وهو كعبة مكة ، - فى القرن السابع - هذا - (والمؤلف يعنى ظهور الاسلام) آمن المسلمون بالله ، لا على أساس اعترافهم بالاصنام ، وازافة اعترافهم بالله اليها ، بل على أساس الاعتراف والايمان بالله وحده - وليس الله فى الاسلام ربا للهيكل بل هو رب ما فى الكون ومن فى الكون . ويقول المؤلف : ،، اتنا لانعرف الكثير عن شخصيته محمد قبل تبشيريه بالاسلام . . . والقرآن لا يأتينا بأية معلومات . . . ولانعرف بالتأكيد الا تاريخ هجرته من مكة الى المدينة ،، (ص ٩)

والحق ان شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل الاسلام واضحة وضوحا كاملا بالقدر الذى يهم الباحث والمؤرخ ، اذ ليس من طبيعة عمل التاريخ أن يتتبع الجزئيات الخاصة بالعظماء قبل أن يظهرها على مسرح التاريخ . . . ونحن اذا قسنا وضوح حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) فى الجاهلية بحياة الانبياء عيسى أو موسى أو نوح (عليهم السلام) أو غيرهم لتجلى لنا وضوح حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) وضوحا كاملا . . . ومواقفه ، فى الجاهلية معروفة ، وأخلاقه فى الجاهلية معروفة ، و مسلمون كثيرون أسلموا اعتمادا على ثقتهم فى أخلاقه فى الجاهلية . وزوجه خديجة رضى الله تعالى عنها - عاشت معه شبابه كله فى الجاهلية (خمسا وعشرين سنة) ، وكانت أول من آمن به . . . هذه أكبر شهادة من زوجة لزوجها يأمرها بترك دينها . . . وهى أعرف الناس به ، وتصدق به ، وتقف معه ، وتصفه بما لم تصف به زوجه زوجها .

ومع ذلك فالمؤلف يقول : انه لا يعرف عن الرسول شيئا الا بدءاً من الهجرة فحتى السنوات الثلاث عشر من عمر النبوة فى العهد المكي ، يجهلها المؤلف وهى سنوات فى غاية الوضوح التاريخى . فماذا نفعل لمستشرق هذا مستواه من المعلومات
 ١٠ . ويقول المؤلف (ص ١٥) ،، وفى كانون الثانى من عام ٦٣٠ قرر (محمد) مهاجمة مكة ناقضا بذلك المعاهدة فدخلها بدون حرب « وهذا كلام لا يقوله مؤرخ يحترم الحقيقة ، فان قريشا هى التى نقضت المعاهدة ، حينما اعتدت هى وحليفها بنوبكر على خزاعة حليفة المسلمين وقد شعرت قريش نفسها بجريمتها ، فأرسلت ابا سفيان يحاول الاعتذار ، ولكن الرسول رفض الاعتذار الساذج نظرا للمقتلة العظيمة التى أوقعتها قريش بحلفاء المسلمين .

ويقول المؤلف (ص ٣٢) : ،، اما الأعمال والعبادات فلا يعلق عليها المسلم الا أهمية ثانوية « - ففى رأيه أن الايمان القلبي يكفى - مع أن هذا الايمان القلبي - فى الاسلام يرتبط ارتباطا كاملا بالعمل الصالح ، والآيات القرآنية ترد رابطة بين الجانبين النظرى والسلوكى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والايمان الذى لا يؤديه الى العمل ايمان ناقص والاصرار على عدم العمل ، اصرار يصل الى المكابرة والجحود ، وقد يؤدى الى الكفر ، وبالتالي فنحن لاندرى من أى مصدر استقى المؤلف معلوماته ؟

ويقول المؤلف (ص ٣٣) : ،، ان العقيدة الاسلامية لم تتخذ صبغة رسمية غير الشهادة ، ولذا حاول علماء الكلام جمع عناصرها المبعثرة فى القرآن ، وأن يعرضوها فى مجموعات منها نسبت الى أبى حنيفة فى القرن العاشر . .

وفى هذه العبارة أخطاء عدة . . . فالعقيدة الاسلامية واضحة جدا ، وقد اتخذت صبغة رسمية وغير رسمية منذ عهد الرسول . . . وماذا فعل الرسول فى مكة خلال ثلاث عشرة سنة اذن ؟ هل كان يحارب أو يبني المجتمع أو الاقتصاد ؟ . . . كلا . . . بل كان عمله الأكبر هو بناء العقيدة التى استغرقت معظم الوحي النازل خلال هذه الأعوام الطويلة . . . ولم يحاول علماء الكلام جمع عناصرها . . . فعناصرها موجودة ، وانما دور علماء الكلام دور المدافع عنها ، الباحث عن المناهج العقلية أو العقلية للدفاع . . . وأبو حنيفة لم يكن عالم كلام . . . كما أنه (وهذا خطأ فاحش آخر و دليل جهل فظيع) لم يعيش فى القرن العاشر الميلادى بل فى القرن الثامن الميلادى . فانه توفى فى علم ٧٦٧ م اى القرن الثانى الهجرى (ت ١٥٠ هـ)

ويقول المؤلف (ص ٣٣) أيضا . . . ، وقد بلغت اسماء الله الحسنى أربعة وثمانين) - وهذا جهل فاضح ايضا ، فاجماع المسلمين على أن الله سبحانه وتعالى تسعة وتسعين اسما ، ولا ندرى من أى مصدر أتى هذا المستشرق الجاهل جدا بهذا الرقم . . .

ويقول (ص ٣٤) ،، ويرأس ابليس جيشا من الشياطين هم الجن ،، وليس هذا صحيحا فى العقيدة الاسلامية . . . فالجن كالانس ، جنس قائم بذاته غير الشياطين ، فيهم الصالح والطالح .

ويقول (ص ٣٥) ،، ولكن محمد لم ينسب الى نفسه سوى معجزة واحدة هى القرآن ،، وهذا غير صحيح ، فهناك معجزات لمحمد (صلى الله عليه وسلم) غير القرآن ، ومنها ماورد فى القرآن نفسه ، كالاسراء والمعراج .

ويقول (ص ٣٦) ،، ولكن المؤمنين وجدوا فى القرآن تناقضا لم يعبأ به الرسول حسب التقليد . . . ومن هنا نشأ التفسير وعلم الكلام .،

وهذا قول من أقبح القول : فلو وجد المؤمنون في القرآن تناقضا ،
لما آمنوا به . ولو بقوا على إيمانهم لتساءلوا ليتعلموا أو ليزيلوا اللبس .
وكيف لا يسألون والقرآن يقرع مسامعهم : ،، ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ،، فكيف يسكنون على التناقض مع أن القرآن
يقول لهم انه ليس فيه تناقض ؟

ومن قال للمؤلف : ان هذا التناقض الموهوم سبب نشأة علم
الكلام والتفسير ؟ على كل حال لانستغرب هذا الجهل الفاضح من
مستشرق جاهل ومن مترجم يدعى (خليل الجسر) ، ومن دار
المنشورات العربية التي تساعدها شركات فرنسية . أجل لانستغرب
هذا الجهل اذا قرأنا في صفحة (٣٧) أن سبب نشأة المعتزلة عند
المؤلف و (المترجم) هو (اعتزال) الخصومة السياسية بين علي
ومعاوية . . . فهل سمع أحد من المسلمين بهذا الهراء ؟ . . . وأين
(اعتزال) واصل بن عطاء اذن ؟

ويقول المؤلف (ص ٤٦) (ان الاجتهاد أقفل بابه نهائيا)
ونحن لاندري من أخبره بهذا الاغلاق ؟ ومن هذا الذي اغلقه ؟
ويقول المؤلف في (ص ٥١) انه يوجد الى جانب الكعبة عدد من
النصب (. . . فأى نصب هذه ياترى ؟ ألم يقض الاسلام عليها ؟
ويقول في الصفحة نفسها ،، أن الكعبة حاصرها عبدالله بن الزبير ،
(رضى الله عنه) فهل هذا صحيح . . . أم أن عبدالله بن الزبير (رضى
الله عنه) حوصر فيها ؟

لكننا لايجوز أن نستغرب هذا الجهل ، فاعتمادا عليه أطلق
المؤلف أحكامه الفاسدة
ويضيف المؤلف في الصفحة نفسها دليلا آخر على عمق جهله ،
فيقول ما نسميه : ،، وكانت العمرة في البدء تتم في شهر رجب المقدس

ومنذ القرن الثاني عشر (السادس الهجرى) أصبحت العمرة ممكنة خلال شهر الحج .

ووالله اننا لنعجب من المستوى المغرق فى الجهل من هذا المستشرق وأمثاله . . . ونحن لاندري (وهو لا يذكر) أى شىء عن مصادره . وهل هى مصادر صعدت من الأرض أم هبطت من المريخ . . . أم طبخت فى مطابخ التبشير المخالفة لأبسط أخلاقيات العلم والدين .

وهل يحكم مسلم واحد بهذا الزعم الكاذب حول العمرة . . . أم أن كل المسلمين - عن بكرة ابيهم وأمهم ، يعلمون أن العمرة جائزة منذ أن ظهر الاسلام طول العام عدا أيام الحج . . . بل ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) - ومعظم المسلمين قد اعتمروا قبل أن يحجوا .

وفى صفحة (٥٨) يقول المؤلف : ،،ان الجهاد لم يتركز مفهومه الا بعد وفاة النبي ،، . (صلى الله عليه وسلم) وكان النبي والمسلمين معه لم يجاهدوا ولم يخرجوا الى غزوات أو سرايا . . . طول عشر سنوات . ويقول :،ان الجهاد لايعتبر عادة من الواجبات الأساسية ،، وكلامه باطل . فان أكثر الفقهاء على أن الجهاد هو الركن السادس للاسلام وهو يكون فرض عين وفرض كفاية

ويقول المستشرق (ص ٥٣) عن البدع والخرافات الصوفية التى يزعم أصحابها أنهم يأتون بخوارق الطبيعة . . . يقول : ،،ان تكريم هؤلاء أصبح ممارسة قانونية بفضل الاجماع .،
ولا ندري أى اجماع هذا ؟ هل اجماع الجهلاء ام العلماء ؟ .

ويقول عن الزواج (ص ٥٦) : «ثم تقام طقوس حول اتمام الزواج ، الغاية منها طرد الأرواح الشريرة التي تهدد الزوجين» ولا أظن أن مسلما واحدا يضع هذه الأرواح الشريرة (التي كانت تزوجها كنيسة العصور الوسطى) فى اعتباره . . . لا فى زواج ولا غيره .
وانما هذه الشعائر تقام للاعلام بالزواج وتوفير شرط العلنية فيه ، ولادخال السرور والبهجة على العروسين فى هذه المناسبة السعيدة .

★ ★ ★ ★

وانى لأستاذن القارئ لكى أنتقل نقلة واسعة من هذا الركाम الاستشراقى الملىء بالعرفن ، و أن اكنفى بنقل فقرة كاملة من كلام المؤلف أرى فيها - من وجهة نظرى - كفاية فى الدلالة على المستوى العميق فى المهبوط للمؤلف والمترجم الذى تحمل وزر موافقة المؤلف - بصمته - على كل هذا الزيف الدنع .

يقول المستشرق (ص ٥٧) عن الابناء المولودين :

«ويعطى الولد اسما يتألف من الاسم الأول (محمد ، أحمد ، يوسف) ومن اسم الأب ، يضاف اليهما فيما بعد كنية تذكر باسم الوليد البكر (الذى كثيرا ما يكون وهما) ونسبة تتعلق بالمهنة ، ولقبا (كنور الدين)

ويتربى الولد حتى السابعة على أيدى النساء ، وبعد ذلك يتعلم مهنة من أبيه أو يذهب الى المدرسة القرآنية ، أما البنات المعدات للزواج فيتلازمن البيت ولايتلقين أى تعليم ، وليست وظيفة المرأة فى الاسلام (ولاحظ فى الاسلام) أن تربى أو تعلم ، وهى تكاد لاتعرف الصلاة . . .

فهل سمع أحد من المسلمين بهذه التركيبة الغريبة ، التى تدل على ان هؤلاء المستشرقين يكتبون عن الاسلام والمسلمين - فيما يبدو

- وكأنهم يكتبون عن عالم خيالى من عوالم ألف ليلة وليلة التى تشبعوا بها وضخموها وجعلوها حاجزا بين عقولهم وبين الحقيقة .
 وهل سمع أحد من المسلمين بهذه الأكذوبة عن وظيفة المرأة فى الاسلام ؟ وهل يعتبر انحطاط بعض المسلمين فى بعض الظروف دليلا على الاسلام نفسه ؟ وبتعبير آخر هل يعتبر شيوع الزنا والخمر والسرقه فى أمريكا وأوربا وأكثر المجتمعات المسيحية . . . هل يعتبر هذا دليلا على اباحة هذه الجرائم فى المسيحية ؟ . . . الحق أن بعض المستشرقين يصل عمدهم فى الكذب الى درجة الانحطاط ويصل جهلهم الى درجة لا تسمح بأى قدر من التفاهم أو تحقيق الحد الأدنى من الاحترام . وفى (ص ٦٤) يرى المؤلف أن المدنية الاسلامية بتأثير حيل فقهية أباحت الربا ، وقد سيطر عليها النظام الصيرفى ، خلافا لروح الشرع ، وظهر فيه نظام رأسمالى صدره الى أوربا . . .
 فكأن المؤلف يريد أن يقول ان الرأسمالية المفسدة فى أوربا يصدرها العالم الاسلامى ، دون أن يدرك أبسط القواعد الاقتصادية التى تجعل ظهور الرأسمالية بمعناها (الليبرالى) أمرا مستحيلا فى المدنية الاسلامية .

فطبيعة المجتمع الاسلامى المقيد بقيود الحلال والحرام ، وطبيعة الاقتصاد الاسلامى ، بقيوده الشرعية ، وضرائبه التصاعدية ، وقبوع سلامة المنبع وتحريم الاحتكار ، وشرف الوسائل والغايات . . . كل ذلك يحول دون ظهور الرأسمالية فى المجتمع الاسلامى .
 وفى (ص ٦٥) يرى المؤلف أن السلطة التنفيذية حق النهى ، وليس هناك قاعدة تحدد ممارستها . . . كما يرى فى الصفحة نفسها أن الخليفة بوصفه رئيسا يمنح الجيوش ،، البركة ،، التى تؤمن لها النصر .

وهذه عبارة كلها خطأ . . . فليست السلطة التنفيذية حقا الهيا
 لأى أحد ، ولها قواعد معروفة تحكمها ، وليس الخليفة فى الاسلام
 (بابا من بابوات الفاتيكان) يمنح البركة ، بل هو (رئيس) و (امام) و
 (مستول) أمام الله ، وأمام شعبه ، ويولّى بشروط ، ويحاكم ، ويعزل اذا
 ثبت عجزه ، ويقتل اذا ثبتت خيانه . ويتحدث الكاتب عن (الاباضية)
 فيزعم أنهم ينكرون صحة سورة يوسف ، لاعتبارهم أنها لاتليق بكلام
 الله (ص ٧٠) ودون أن يدرى الكاتب أن (الاباضية) مسلمون ،
 وخلافاتهم مع بقية الطوائف فى بعض الأمور هى خلافات فى المجال
 الاسلامى ، وأن انكار أى مسلم - على عكس الخلافات بين الطوائف
 الانجيلية - لأى آية فى القرآن ، فضلا عن سورة كلها - تجعل المسلم
 كافرا خارجا عن المجال الاسلامى كله .

وفى (ص ٧٦) يقول المؤلف انه تشعب عن الشيعة حركتان دينيتان
 اصليتان : النظام التوفيقى الذى وضعه ,,أكبر,, سلطان الهند المغولى ،
 والذى حاول فيه التوفيق بين الاسلام والبراهمانية والبوذية والمسيحية ،
 وسمّاه ,,التوحيد الالهى ,, والباية وهى محاولة اصلاحية للاسلام قام
 بها الشيعى ميرزا على محمد سنة ١٨٤٨ م ، وأعدم سنة ١٨٥٠ م .
 وهاتان النحلستان ليستا من التوفيق فى شىء ، ,,فأكبر,, الذى
 حكم فى القرن الحادى عشر الهجرى كان عدوا مبينا للاسلام ،
 خارجا عنه تمام الخروج ، مائلا نحو الهندوسية ، مصاهرا لها . ولولا
 ان قيض الله للهند الاسلامية الامام المصلح الشيخ أحمد بن عبد
 الأحد السرهندي . الذى نجح ، بعد تعرض للسجن والتعذيب ، فى
 استمالة ابنه وخليفته جيهان كير - لأمكن القضاء على مسلمى الهند ،
 على يد ,,أكبر,, وأبنائه .

وقد كان ,,أكبر,, هذا أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يعرف عن الاسلام الصحيح شيئا ، وظل - كما يقول علامة الهند أبو الحسن الندوى - يتعد عن الدين الاسلامى ، بتأثير محيطه من بطانة السؤ ، وفى الوقت نفسه يمتزج . بالبراهمة خاصة ، حتى نشأ عنده عدااء شديد للاسلام ، وبغض له ، لدرجة أنه كان يسؤه أن يسمى أحد فى بلاطه ابنه محمد وقد حرم ذبح البقرة فى طول الهند وعرضها ، وأباح الخمر والخنزير ، ووجه الهند كلها الى الاباحية والكفر فهل هذا السلطان الجاهل الكافر صاحب مذهب توفيقى ؟

وما يقال عن أكبر ، يقال بطريقة أخرى ، عن البابية ، فليس فيها من التوفيق شىء ، وهى حركة كالبهائية ، والقاديانية ، خارجة تماما - عن الاسلام -

ويقول دومينيك سورديل فى (ص ٧٩) . ,,ان التصوف حركة اسلامية أصيلة ، وهو يتركز على نزعة قرآنية نحو التقوى التى نحّاهها الاسلام الرسمى جانبا .

وهذه العبارة كلها فساد فى فساد . . . فنحن لانفهم ماهى الأصالة فى التصوف ؟ هل ورد فيه شىء أصيل فى القرآن والسنة ، وهما مصدر التأصيل فى الاسلام ؟ أم ماذا ؟
كما أننا لانفهم معنى أن الاسلام الرسمى نحّى التقوى جانبا ؟ وماذا يبقى فى الاسلام اذا نحّى التقوى ؟ بل نحن لانفهم معنى مصطلح ,,اسلام رسمى ,, فنحن نعرف الاسلام الذى تؤمن به ، ونتعلمه منذ ثلاثين سنة ويزيد ، اسلاما واحدا . . . (رسميا وشعبيا) وهناك بعد ذلك - من يلتزمون بالدستور والقانون ، ومن ينحرفون عنه ، لكن ذلك لايعنى أن هناك دستورين وقانونين . . . بل الدستور واحد ،

والقانون واحد ، والاسلام واحد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وفى (ص ٨١) يتحدث المستشرق عن وصول الصوفى الذوقى الى الحقيقة ، ويرى أن هذا الوصول يضع الصوفى (فى الاسلام بالطبع) فوق النبى ، ومعروف أن هذه زندقة لاتقبل من مسلم لا صوفى ولا غير صوفى ، فمرتبة النبوة - فى الاسلام - اصطفاء الهى بحت ،، الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ،، .

وفى (ص ١٠٠) يتجراً المؤلف فيحكم حكماً عاماً على الثقافة الاسلامية ، وكأنه ضليع فيها ، فقيه بها ، مع أنه - كما يتبدى من خلال كتابه - جاهل بها كل الجهل فيقول : ،، ويبدو أساس الثقافة الاسلامية من خلال مظاهرها المختلفة ، شعوراً ببطلان هذا العالم ،، ...
والحق أننا لاندرى من أى مصدر استقى المؤلف هذا الاحساس للثقافة الاسلامية لكن اذا وجب علينا كمسلمين أن نعتبر القرآن هو أساس هذه الثقافة ، وهذا واجبنا الشرعى والعقلى ، لأنه لا اسلام ولا ثقافة اسلامية بدون ،، القرآن ،، .

اذا وجب هذا فاننا نجد القرآن يقول بعبارة صريحة لاتقبل أى تأويل أو كذب . . . على لسان المؤمنين :
،، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ،، .

وللدنيا قيمة كبيرة - فى حياة المسلم الواعى بدينه ، وليس الصوفى الغافل ، فبدونها ، لن يعبر المسلم الطريق الى الجنة وبدونها لن يحقق خلافة الله فى الأرض ، انها الوسيلة الضرورية الكريمة للغاية الكريمة .

وان المسلم لا ينظر الى الدنيا أبداً على أنها باطل ، بل ينظر اليها على أنها (صراع مع الباطل) ، وفى القرآن أمر المسلم ،، ولاتنس

نصيبك من الدنيا ، وفي القرآن ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، بمعنى العبادة الاسلامية الشاملة ، وفي القرآن ، وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شئ فصلناه تفصيلا ، وكل انسان أزمانه طائرته في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا

فهل ، الدنيا ، باطل في أساس الثقافة الاسلامية الأول ، أم انها رحلة كفاح وجهاد ، من أجل غاية عظمى . . .

وعلى أية حال ، فان من الصعب تتبع كل الأخطاء الجسمية التي وردت في هذا الكتيب الذي لاتزيد صفحاته عن خمس عشرة ومائة من القطع الصغير ، لدرجة يبدو معها ، فيما دونته على حواشيه ، وكأن معظم تركيباته وأساليبه وحقائقه الاسلامية التاريخيه ، كلها في حاجة الى اعادة بناء ، وصياغة ، واعتماد على ركائز الحقيقة .

انه كتاب في حاجة الى كتاب آخر ليصححه ويعيد سداه ولحمته من جديد ، ورحم الله الموضوعية والمنهجية والأمانة العلمية ، في عالم يستبيح كل الوسائل من أجل غاياته المسبقة ، وأغراضه التي يلوى من أجلها اعناق الحقيقة ، ويستتهين بحقائق العلم ، وبالمصادر الصحيحة للبحث ، وبالحد الأدنى من احترام العقل البشرى ، ولا عجب - بعد ذلك - ان تكتب الدار الناشرة في ذيل هذا الكتاب ، وغيره من السلسلة التي تصدرها تحت عنوان ، ماذا أعرف ، لا عجب أن تكتب أن المسهمين في نشر هذه السلسلة هم .

(١) شركة الطيران الفرنسية

(٢) شركة الزيوت الفرنسية

(٣) مصرف باريس الوطنى

(٤) الشركة العامة بفرنسا

(٥) شركة دوميز

(٦) وزارة العلاقات الثقافية بفرنسا .

فهل تحتاج الكتب التى تنهج النهج العلمى ، وتخدم الحقيقة العلمية
المجردة لمثل هذه المساهمات الفرنسية من جهات لاعلاقة لها بالعلم
المجرد ، ولماذا - ياترى - تساهم هذه الهيئات كلها فى نشر هذه
السلسلة من الكتب بالعربية هل يكون ذلك لتثقيف المسلم وتوعيته ..
أم لتشويه فكره و افساد علاقته بدينه وتاريخه وحضارته ...
ان ذلك هو عين اليقين .